

مخطوطات ومطبوعات

يقظة العرب

ألفه جورج انطونيوس ونقله الى العربية علي حيدر الركابي

يقع الكتاب في خمس وخمسين صفحة واربعائة . وهو مطبوع طبعاً حسناً على ورقٍ صقيل مزين بصورات جغرافية ، توضح كثيراً من الأبحاث . ويقظة العرب كتاب يدل اسمه عليه ، يستهدف على ما قال مؤلفه في مقدمته : (سرد حكاية وتوضيح مغزاها ، وهو لا يرمي الى تدوين التاريخ النهائي والمفصل للحركة العربية ، بل الى رسم الخطوط الكبرى لأصول تلك الحركة ونموها ، والمشاكل الرئيسية التي جابهتها وذلك بعرض متصل للوقائع يتخلله شيء من التحليل . . .) قال : (ولم تسرد هذه الحكاية مردياً كاملاً قبل الآن ، فقد نشر وصف لبعض مراحل القضية العربية هنا وهناك إلا اني لم أعتز في جميع اللغات التي أعرفها على بحث يتناول تلك القضية من أولها ؛ اي منذ ان حركت العرب عوامل اليقظة قبل مئة سنة حتى يومنا هذا . كما اني لا اعلم بوجود كتاب يعتمد في سرد وقائعه المصادر العربية والأجنبية على سواء ولهذا رأيت أن المجال واسع لتأليف كتاب يستند الى المصدرين معاً . وان مزيجاً مركباً يجمع بين المصادر والتفاسير العربية وبين الاسناد الغربية لا بد من ان يؤدي الى اظهار الحركة العربية وما رافقها من مسائل في بحث جلي وقوي) .

وبعد المقدمة ، تأتي كلمة العرب : يعرف بها المؤلف والكتاب تعريفاً صحيحاً . وبقول : (قد يجد القاري في بعض استنتاجات المؤلف وآرائه ، ما يختلف كثيراً أو قليلاً عن افكاره هو ، ولا سيما عند بحثه لمقدمات الحركة العربية . ولكن

القارى' يغفر هذا ايضاً بالنظر لما يحويه الكتاب من تحليل قيم وآراء محكمة في

المواضيع الرئيسية التي تهتم العرب ولا سيما في موضوع فلسطين) .

(لقد اعترض البعض على تعريب الكتاب بحجة ان العرب عالمون بقضيتهم

وليسوا بحاجة الى من يشرحها لهم ، وانه ان نفع قراء الانكليزية فهو لن ينفع

قراء العربية . على اني لم التفت الى هذا الاعتراض ليقيني بأن العرب غير علمين

بقضيتهم فهم إذا محتاجون الى من يشرحها لهم ولا سيما على يد استاذ كجورج

انطونيوس . الذي لا يكتفي بأن يضع امامهم صورة كاملة عن حركة لم يروها

قبلاً بل انه يعلمهم كذلك الفرق بين أسلوب الخطابة في الدفاع عن قضيتهم

وبين الأسلوب العلمي الهادي . فلتن نجح الأول في تهبيح الجماهير في حالات

خاصة ولمدة محدودة فان الثاني ذو أثر نافذ وبارق على الدهر) .

وبعد ذلك يجيء الباب الأول وعنوانه (البذور الأولى) وقد جعل المؤلف

نجر حركة العرب القومية في ديار الشام سنة ١٨٤٧ يوم أسست (جمعية أدبية

متواضعة في بيروت يرعاها الأمير كان) .

ولا يرى المؤلف في الثورات والاضطرابات التي قام بها نجر الدين بالشام ،

والوهايون في جزيرة العرب - والحروب التي شنها محمد علي على السلطان التركي -

جزءاً من قصة اليقظة التي يرويها - لأنها في رأيه : (حركات متفرقة ناشئة

عن دوافع خاصة ولم تكن خطوات منتظمة في سير القومية العربية المنشوبة الى

الأمم - ولهذا وجب وضعها في المقام الثاني من الأهمية) .

وفي هذا الباب يصف المؤلف كيف : (رافق الدعوة الى الاسلام طريقة في

التوسع كتب لها ان تؤدي الى فتح كان من أروع المشاهد في تاريخ الفتوحات

العالمية . فان قوى الإسلام التي خرجت من قلب الجزيرة اثر وفاة النبي محمد

دفعت في كل جهة تستطيع الوصول اليها بطريق البر . ففي الشمال اكتسحت

الشام وتقدمت الى الأناضول حيث هدّدت القسطنطينية ، و الشرق فتحت

العراق وفارس والقسم الأكبر من بلاد الأفغان - وعبرت نهر جيحون فدخلت البلاد المعروفة باسم تركستان ، وفي الغرب استولت على مصر وسواحل شمالي افريقية بكاملها حتى وصلت الى شاطئ الأطلانطي ، ثم انطلقت شمالاً عند جبل طارق فاكنتحت اسبانية ثم اجتازت البرنس ودخلت فرنسا فاستولت على افينيون وكر كزون وناربون وبوردو . وفي برهة من الزمن لم تعد المئة سنة بعد وفاة محمد قامت امبراطورية عربية تمتد دون انقطاع من شبه جزيرة ايبريه في الغرب الى سواحل البحر المتوسط الجنوبية فشواطئ نهر السند وبحر الخزر في الشرق . وفي القرون التي عقت ذلك كان الطرفان الشرقي والغربي لهذه الامبراطورية يتراوحان بين مد وجزر . ولكن الزمن الذي سلخه العرب ضمن هذه الحدود المترامية كان كافياً لطبع هذه البلاد بطابع عربي دائم . لقد سطر العرب في حكمهم صفحة باهرة في تاريخ البشرية ، ولم تكن عظمتهم قائمة على انهم فتحوا تلك الأجزاء الواسعة من العالم المعروف ، بل على انهم وهبوا حضارة جديدة .

وبقرر المؤلف - استناداً على مقال نشره الأستاذ ماسينيون في مجلة العالم الاسلامي : ان ما يقرب من ثلثي سكان فلسطين الحضر المسلمين هم من دم عربي صافٍ والنسبة اكثر من ذلك في شرق الأردن .

ويقول المؤلف : (ان العرب هم الاكثرية الساحقة من سكان البلاد العربية ، من تحد مناهم من اصل عربي صاف ، ومن لم يتحد ر غمرتهم الموجة العربية جميعاً فاستعربوا تماماً وباتت عاداتهم وثقافتهم مسكوبة في قالب عربي

وتضم كلمة العرب النصارى والمسلمين . »

ويتناول المؤلف في كتابه حركة محمد علي وابنه ابراهيم باسهاب ، ويشير الى حركة الوهايين ، والى أثر الارساليات الأجنبية ؛ وينوه بأثر رجالات العرب كاليازجي والبستاني . والمستعربين أمثال فانديك واسمث والى ما أنشئ من جمعيات علمية وأديية .

م (٨)

والمؤلف بالاضطرابات التي وقعت عام ١٨٦٠ فذكر أسبابها ونتائجها بتفصيل قد يحتاج الى تمحيص أعمق مما ذكره المؤلف . نضرب على ذلك مثلاً ما زعمه من ان هذه الاضطرابات (عممت على الحد من سلطة الكهنة السياسية فكانت لذلك وبالاً عليهم كما انها ساهمت الى حد بعيد في القضاء على النظام الاقطاعي) أما انها ساهمت في القضاء على النظام الاقطاعي ، فنعم . واما انها حدثت من سلطة الكهنة السياسية ، فلا^(١) . اذ هي خلقت سلطة للاكليروس لم تكن له قبل . وأخطأ في اسباب الفتن وفي معرفة موقديها ، كما أخطأ في اعتقاده ان التعليم في المعاهد التركمية كان باللغة العربية ، على خلاف ما كان في المدارس الأجنبية . والحقيقة ان اللغة العربية كانت أكثر إهمالاً في المدارس التركمية منها في المدارس الأجنبية .

وفي الباب الرابع تناول المؤلف الاستبداد الحميدي : (١٨٧٦ - ١٩٠٨) فأشار الى الأحداث التي وقعت في أيام عبد الحميد من داخلية وخارجية ، ووصف رجاله والمشروعات التي كانت في أيامه .

وعاد في الباب الخامس الى الحركة العربية من سنة (١٨٦٨ الى ١٩٠٨) وكيف نشأت الجمعيات السرية التي كانت تدعو الى الاستقلال العربي ، وما رافقها من نهضة علمية وأدبية والرجال الذين عملوا لها .

وفي الباب السادس تحدث عن الجمعيتين : العربية الفتاة ، وتركيها الفتاة : (١٩٠٨ و ١٩١٤) والحروب والثورات التي قامت في ذلك العهد ، والرجال الذين عرفوا فيه وجعل عنوان الباب السابع : (الحرب والجهاد سنة ١٩١٤) فوصف الثورة العربية - التي قام بها الحسين بن علي وهي الثورة التي افتتحت بحق عهد الاستقلال العربي - وصفاً مسهباً .

(١) كان البطريرك الماروني نفسه الى ما قبل سنة ١٨٦٠ يلجأ الى مشايخ بني معروف ليتوسطوا له - حتى في أموره وقضاياه الخاصة - لدى البابا . راجع تاريخ بكفيا للشيخ ادمون بليل ، ووثائق دير الأحمر ، ومحاضرتنا عن بني معروف .

وفي الباب الثامن : بيان للمؤامرة التي دبرها رجال العرب على اخكم التركي .
 وفي الباب التاسع : ضمان بريطانيا لهذا الاستقلال ، وما كان من مفاوضات بينها
 وبين الشريف ، ثم ما كان من مراوغتها واحتيالها في تفسير هذا الضمان .
 وفي الباب العاشر وما بعده الى السادس عشر : حديث الثورة العربية ،
 ونتائجها ؛ والعهود المتنافضة التي قطعت للعرب ، والتسوية التي عقبها الحرب ،
 والأقطار العربية ، والانتداب عليها .
 والكتاب على ما تدل فصوله والمقاطع التي استشهدنا بها ، جزيل الفائدة ،
 لا يستغني عنه عربي يعني بوطنه وتاريخه ، وحبذا لو ان العرب كان اكثر عناية
 بلفه هذا الكتاب المفيد .

غير ان ذلك لا يقلل كثيراً من شكر العرب على ما أسداه من خير لأمتهم ،
 ونستحضر الرحمات على جدث المؤلف ، فقد خأد التاريخ العربي له اسمه في